رواية الأدب الجاهلي في كتاب الكامل للمبرّد

الباحث : ساطع عباس العبّاس [1]

الملخص:

يُعدّ كتاب الكامل؛ من ذخائر المكتبة العربية، ومن نفائسها، وهو بما جُمع ورُوي فيه من لغةٍ، وإعرابٍ، وأدبٍ وبلاغةٍ، ونقدٍ، حريٌّ بالوقوف معه طويلاً، وقد طبع الكتاب مراتٍ كثيرةً وحُقّق تحقيقاتٍ عزيزةً، أجلّها تحقيق الدكتور: محمود أحمد الدّالي، وقد دُرسَ الكتاب، وقدّمت فيه أبحاثٌ متعدّدةٌ، وكلٌّ ينهل من هذا المعين ما يرمي إليه ويبتغيه، وكان هدف هذه الورقة ليس كتاب الكامل بكليّته، بل الراوية الأدبيّة للعصر الجاهليّ فيه، هذه الرّواية التي أخذت نماذج متعددةً، حتى وصلت إلى عصر المبرّد، لتحفظ لنا أدبنا من الزوال والاضمحلال، وفي سياق الحديث عن الرّاوية، مررت بمراحلها وعصورها، وتحولاتها المختلفة، حتّى ظهرت في كتاب الكامل؛ بإسنادٍ أحياناً، وبدونه أحياناً أخرى، وقد وقفتُ على أسباب هذه الظّواهر والأحوال في الروايّة، وأهمُّ مرجعٍ في هذه المسألة: كتاب (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) للدكتور ناصر الدين أسد، بما حواه من تعريفٍ بالراوية، وما أجاب عليه من إشكالاتٍ تدور حولها..

الكلمات المفتاحية: الرواية، الكامل، المبرّد، الأدب الجاهلي، الشعر، الخطبة، الأمثال.

Abstract:

prepare a complete book; From the treasures of the Arabic library, and its valuables, and it is with its collection and narration of language, syntax, literature, eloquence, and criticism, it is necessary to stand with him for a long time, and the book has been printed many times and dear investigations have been achieved, the time of which is the investigation of Dr.: Mahmoud Ahmed Al-Dali, and the book has been studied. There are multiple researches in it, and everyone draws from this specific point and aims for it, and the goal of this paper is not the book of al-Kamel in its entirety, but rather the literary narration of the pre-Islamic era in it. In the context of talking about the narrator, I went through its various stages, eras, and transformations, until it appeared in Al-Kamil's book; With a chain of narrators sometimes, and without it at other times, and I came across the causes of these phenomena and conditions in the narration, and the most important reference in this issue: the book (The Sources of Pre-Islamic Poetry and its Historical Value) by Dr. Nasir al-Din Asad, with its definition of the narrator, and the problems it answered.

Keywords: the novel, al-Kamil, al-Mubarrad, pre-Islamic literature, poetry, sermon, proverbs

---

1- الباحث : ساطع العبّاس، محاضر في جامعة ماردين، كلية العلوم الاسلامية sateelabbas@artuklu.edu.tr.

ترجمة أبو العباس، المبرّد.

محمدُ بن يزيد بن عبد الأكبر، الثمالي، الأزديّ، أبو العبّاس، (210 – 286 هـ = 826 – 899 م) المعروف بالمبرّد؛ إمام العربيّة ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد، من كتبه (الكامل – ط)، و (المذكر والمؤنث – خ)، و (المقتضب – ط)، و (التّعازي و المراثي – خ) .. و (شرح لاميّة العرب – ط) مع شرح الزمخشريّ، و (إعراب القرآن)، و (طبقات النحاة البصريين)، و (نسب عدنان، وقحطان – ط) رسالة، و (المقرّب – خ)، قال الزبيديّ في شرح خطبة القاموس: المبرَّد؛ بفتح الرّاء المشدّدة عند الأكثر، وبعضهم يكسر[1].

وإذا كانت الرواية هي الهدف فيلزم الوقوف عند مراحلها، وتداولها بين الأنساق العلمية المختلفة، حتّى نصل إلى عصر المبرد، وطبيعة الرواية في عصره.

في الرّواية؛ معناها، ومكانة كتاب الكامل فيها:

لقد مرّت الرواية بمرحلتين: الأولى خاصّةٌ بالشّعر وحده، وتعني مجرّد حفظه، ونقله، وإنشاده، ولا تتجاوز ذلك إلى ضبطه، وتحقيقه، والنّظر فيه وتمحيصه، واستمرّ مدلول هذه المرحلة الأولى في تاريخ الرّواية الأدبيّة؛ حتى آخر القرن الأوّل، وبداية القرن الثّاني،2 وفي أواخر هذا القرن؛ أصبح يُطلق على المشتغلين بالحديث النبويّ، المهتمين بإسناده، ورجاله رواةٌ أيضاً، فأصبح للحديث رواةٌ كما كان للشّعر رواةٌ،3 أمّا المرحلة الثّانية من الرواية الأدبية؛ وتأثّرًا بعلم الحديث في الرواية العلميّة" فهي تقوم على الحفْظ، والنّقل، والإنشاد، كالرّواية المجرّدة في دورها الأوّل، وأضيف إليها الضّبط والإتقان، والتّحقيق، والتّمحيص، والشّرح، والتّفسير، وشيءٍ من الإسناد"4، وهنا يبرز صاحب كتاب الكامل المبرّد؛ ليقوم بتحقيق هذا الدّور في كتابه، إذ نجد تجليّا واضحاً وصريحاً لهذا المعنى، والشّكل من الرواية، والطّور الجديد منها فيه، الذي لابدّ أن نذكر نبذةً؛ ولو قصيرةً من أقوال أهل الأدب والمؤرّخين فيه، وليس أدلّ على تلك المكانة من مقولة ابن خلدون الخالدة حين قال:

ثمّ إنّهم إذا أرادوا حدّ هذا الفنّ قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب، وأخبارها، والأخذ من كلّ علمٍ بطرفٍ، يريدون من علوم اللّسان أو العلوم الشّرعيّة؛ من حيث متونها فقط، وهي القرآن والحديث، إذ

1- المبرّد ،الأعلام للزركلي، ج 7، ص144.

2- أسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية، دار الجيل بيروت،،1988 ط7 ، ص189.

3- انظر نفسه، ص 189.

4- نفسه، ص 190.

لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب، إلّا ما ذهب إليه المتأخّرون عند كَلَفهم بصناعة البديع من التّورية في أشعارهم، وترسّلهم بالاصطلاحات العلميّة، فاحتاج صاحب هذا الفنّ حينئذٍ إلى معرفة اصطلاحات العلوم، ليكون قائماً على فهمها، وسمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم؛ أنّ أصول هذا الفنّ وأركانه؛ أربعة دواوين، وهي أدب الكتّاب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتّبيين للجاحظ، وكتاب النّوادر لأبي عليّ[1]، أمّا عن المنهجيّة الروائية في كتاب الكامل، فقد أبَان المبرّد عنها حين عرّف بموضوع كتابه، ومنهجه فيه، بقوله في مقدمته :

هذا كتابٌ ألفناه يجمع ضروباً من الآداب، ما بين كلامٍ منثورٍ، وشعرٍ مرصوفٍ، ومثلٍ سائرٍ، وموعظةٍ بالغةٍ، واختيارٍ من خطبةٍ شريفةٍ، ورسالةٍ بليغةٍ، والنيّة فيه أن نفسّر كلّ ما وَقَع في هذا الكتاب من كلام غريبٍ، أو معنىً مستغلقٍ، وأنْ نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعنْ أن يرجع إلى أحدٍ في تفسيره مستغنياً... [2]، يقول محقّق النّسخة التي تمّ اختيارها للدراسة والبحث، الدكتور محمد الدّالي عن تقسيم الكتاب وطريقة تبويبه :

وعلى أنّ المبرّد قد كَسَر كتابه على أبوابٍ، فالظّاهر أنّ هذه الأبواب، لم توضع فيه على نَسقٍ أو نظامٍ، ولم يستقلّ أيٌّ منها بفنٍّ واحدٍ، ولا أستثني البابين اللذين عقد أولهما؛ لبعض ما مرّ للعرب من التّشبيه المصيب والمُحدثين من بعدهم ؛ وثانيهما لأخبار الخوارج، فقد وُضعت الأخبار والمختارات فيهما على غير نسقٍ أو نظامٍ؛ يؤلّف بينها غير فكرة الباب العامّة، ويقع في هذه الأبواب أخبارٌ، واختياراتٌ جرّه الاستطراد، لا صلة لها بالفكرة التي عَقَد لها الباب، وقد كانوا يقصدون إلى هذا التنقّل والاستطراد قصداً، ليكون في ذلك استراحةٌ للقارئ، وانتقالٌ ينفي الملل[3]. . .

وبناءً على ما سبق من توضيح المؤلف لمنهجه، وتقديم المحقق للكتاب، وبعد مطالعة الكتاب: يتّضح أنه كتابٌ يُقرؤ من اتّجاهاتٍ متعددةٍ، وإن كان الطّابع اللغويّ، والإعرابيّ، والبلاغيّ هو الأبرز، لكنّ الرواية لها حضورها، وإنّها قد تحضر بإسنادٍ أو بدونه، والذي نهدف إليه هو حضور الأدب الجاهليّ، نثره وشعره، وهذا ما سيأتي بيانه.

1- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 63.

2- المبرد، أبو العباس، الكامل، ت:محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997-1418،ط 3، ج1، ص 1-2.

3- نفسه، مقدمة المحقق، ص:18.

مروياتٌ من الأدب الجاهليّ؛ في كتاب الكامل:

في جزء الكتاب الثاني يعقد أبو العبّاس المبرّد هذا العنوان: نَذكر في هذا الباب من كلّ شيءٍ شيئًا، لتكون فيه استراحةٌ للقارئ، وانتقالٌ يقي المـلَلَ لحسْن موْقع الاستطراف ، ونَخْلِط ما فيه من الجدِّ، بشَيءٍ يسيرٍ من الهَزْل، ليستريحَ إليه القلبُ، وتَسْكنَ إليه النّفس[1].

ثمّ يذكر وينقل أقوالاً من عصورٍ مختلفةٍ، فيها اللّغة، وتحضر البلاغة أيضاً كالكناية..، ثم يستأنف بقوله:

ثمّ نعود إلى هذا الباب، ويذكر شاهدا شعريّاً لزهيرٍ، قال زهيرٌ[2]:

ومهما تكنْ عند امرئٍ، من خليقةٍ، وإن خالها تخفى على النّاس، تعلمِ[3].

..وقال عمرو بن العاص : إذا أنا أَفْشيْت سرّي إلى صدِيقٍ فأذاعهُ، فهو في حلٍّ، فقيل له: وكيف؟ قال: أنا كنت أَحَقُّ بصِيانته.4وقال امْرُؤ الْقَيْس :

إذا المَرْءُ لم يَخزُنْ عَلَيهِ لِسَانَهُ ... فَلَيْسَ على شَيْءٍ سِوَاهُ بخَزّانِ[5].

وفي معرض حديثه عن حسن التّشبيه، وذكره أمثلةً، وشواهد متعددةٍ، يستشهد ببيت عنترَة العبسيّ، فيقول: ومن حُسن التّشبيه قولُ عنترة[6]:

وغادَرْن نَضْلَة في مَعْرِكٍ يَجُرّ الأسنة؛ كَالمـُحْتَطِبْ[7].

يقول: طعمِنَ وصُودِرتِ الرّماحُ فيه، فظَلّ يَجُرّها كأنّه حاملُ حطبٍ[8].

1- المبرد، أبو العباس، الكامل ،ج2، ص 849.

2- ثعلب، أبو العبّاس، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، 1428هـ -2008م، ط 3، ص37 .

3- الخليقة والطبيعة"" والسليقة والنحيزة والنحاس والسوس والتوس، كله بمعنى واحد. يقول: من كتم خليقته فتظهر عند الناس، نفسه، ص 37.

4- المبرد، أبو العباس، الكامل ،ج2ص879،878.

5- امْرُؤُ القَيْس، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت،1425 هـ - 2004 م، ط 2، قافية النون ، قصيدة قفا نبك، ص 160.

6- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، 1422هـ -1992م، ط 1 ، ص 23.

7- يقول: غادرت الخيل نضلة، والرماح فيه يجرها، كما يجر المحتطب الحطب، المعرك: موضع القتال، والأسنة: الرماح، انظر: نفسه،ص 23

8- المبرد، أبو العباس، الكامل، ج 2ص:941.

قلت أنّ الشّعر الجاهليّ لم يرِد تحت هذا العنوان، أو مبوّباً له بهذا الاسم، ففي المجلد الثالث قال: بابٌ في التّشبيه للفرزدق عند هروبه من سجن ابن هبيرة؛ ويذكر أسماءً وصفاتً للخيل التي يتمُّ بها الهروب، ثم يضيف قائلاً: ثمّ نرجع إلى التّشبيه المصيب؛ قال امرؤُ القيس في طُول اللّيل:

كأنّ الثرا علقت في مصامها ... بأمراس كتانٍ إلى صُمّ جندل[1].

والأمراس: جمع مرْس، وهو الحبل.فهذا في ثبات الليل وإقامته، و المصام: المقام، وقيل للممسك عن الطّعام: صائم، لثباته على ذلك، ويقال: صَام النّهار؛ إذا قامت الشّمس، قال امرؤ القيس[2]:

فدَعْ ذا، وَسَلِّ الهمّ عنكَ بجَسْرَة ... ذَمُولٍ، إذا صَامَ النَّهارُ وَهَجّرَا[3].

وقال النّابغة:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمةٍ ... تحت العجاج، وخيلٌ تعلك اللُّجما[4].

هذه شواهدٌ من شعرٍ يرويه المبرّد ويسنده، وأحياناً يذكره دون إسنادٍ.

ففي الجزء الثاني وبعد قوله –بابٌ– قال أبو العبّاس، قال أعرابيٌّ :

كل امرئٍ ذي لِحْيَةٍ عثوليّةٍ يَقُومُ عليها، ظَنّ أنّ لهُ فضلا.

وما الفَضْلُ في طول السّبال وعَرْضِها إذَا اللهُ؛ لم يَجْعلْ لِصَاحِبِهَا عَقلا.

عَثولية يقول: كَثيرةً، والمُسْتَعمَلُ يقال: رجلٌ عثولٌ؛ إذا كان كثير الشَّعر، وأصْل ذلك في الرّأس واللّحية، وبناه الأعرابي بناء جدول، كأنه عثولٌ ثم نَسَب إليه، السُبَلةُ مُقَدّم اللحية، يقال لِمَن أسْبَلَ من الشّاربين سَبَلتانِ، وتقول العربُ: أخَذَ فلانٌ شَفْرةً فُلتَم بها سَبَلَة بعيره، أي نحرَهُ، واللّتم : الشّق، فهذا ما أسْبَلَ من جرانه[5] ،ثم يثنّي بالقول: يقول بعض المُحدثين[6]...

ما تقدم ذكره من أمثلةٍ، هو نموذجٌ في الشّعر الجاهليّ، والآن سأذكر بعض الأمثال، وأقوال الحكماء، التي تحتوي على نثْرٍ أدبيٍّ، جاهليٍّ، مرويٍّ في كتاب الكامل، ففي جزء الكتاب الأول، وبعد عنْونَته

1- ديوان امرؤ القيس، ق48/1 ، ص5.

2- امْرُؤُ القَيْس، ديوان امرئ القيس، ص 95.

3- الجسرة: الناقة القوية على السير. الذمول: السريعة. هجر: من الهاجرة وهي حرّ الظهيرة، انظر نفسه :ص95.

4- هو للجعدي ويروى للذبياني، وهو للجعدي أشهر وقال ابن الأعرابي معنى غير صائمة: أي تجول، وقال قتيبة: خيل صيام: نيام ليست من قتال، وأخرى غير صائمة أي في قتال، وأخرى تعلك اللجما أي قد هيئت للقتال وقبله.انظر: القرط على الكامل، الأنصاري، علي بن إبراهيم، المكتبة الشاملة، ص 172

5- المبرد، أبو العباس، الكامل ،ج2، ص 652.

6- نفسه، ج2، ص652.

بكلمة–بابٌ– قال أبو العباس: قال الأحْنف بن قيسٍ: ألا أدُلّكُمْ على المحْمَدَة بلا مَرْزِئَةٍ؟ الخلقُ السَّجِيحُ، والكَفُّ عن القبيح، ألا أَخبركُمْ بأدوأ الدّاء؟ الخلْقُ الدَّنِيء، واللّسان البَذِيء، وقال الأحنف: ثلاثٌ فيّ ما أقولّهُن إلا لِيَعتبرَ مُعْتبرٌ: ما دَخلتُ بين اثنين حتى يُدُخلاني بينهما، ولا أتيتُ باب أحدٍ من هؤلاء، ما لم أَدْع إليه، يعني السّلْطانَ، ولا حَلَلْتُ حبْوَتي إلى ما يَقُوم إليه النّاس، تَكْسِرُ الحاء، وتضمّها إذا أردت الاسم، وتفتحها إذا أردتَ المصدر[1]. هذا مثالٌ من أقوال الحكماء..

وفي موضعٍ آخر يعقد باباً للأمثال العربية، ولا يتقيّد بعصرٍ معيّنٍ كما أسلفت، ويأتي على قصّة المثل و مضربه تارةً، ويشرحه ويفسّره تارةً أخرى، ففي جزء الكتاب الأول أيضًا وبعد قوله: –بابٌ– قال أبو العباس: من أمثال العرب(لم يَذَهَبُ مِن مَالكَ ما وَعظَك)[2] يقولُ: إذا ذهَب من مالكَ شيءٌ فحذَرك أن يحلّ بك مثله، فتأديبه إيّاك عِوْضٌ من ذُهابه، ومن أمثالهم: (رُبّ عَجَلَةٍ تهَبُ رَيْثًا)[3]، وتأويله: أنّ الرّجل يعْمَلُ العمل فلا يُحكمُه للاستعْجال به، فيحتاجُ إلى أنْ يعودَ فينقُضَه، ثمّ يستأنِفُ، والرّيْث الإبْطاء، ورَاث عليه أَمْرُه؛ إذا تأخّر[4].

ولو مضينا نتتبع ما رواه من أمثلةٍ، وأشعارٍ، من عصر الجاهلية، لطال البحث، وخرَج عن غرضه، فليس الهدف إحصائيٌّ، وإنما هدفنا التّمثيل على الرواية الجاهليّة في كتاب الكامل، والآن نمضي لبيان كيف وصلت الرواية إلى هذا النموذج؛ الذي لاحظناه في كتاب المبّرد، ومراحلها الزمنيّة، وأطوارها المنهجيّة.

الرواية الجاهليّة:

ابتدأتْ الرّواية من زمن الشّعراء الجاهليين، فللشّعراء رواتهم، ولهم من يدّون عنهم وينقل، وللدكتور ناصر الدّين أسد، في كتابه مصادر الشعر الجاهلي: شواهدُ وأدلّةٌ عن التّدوين في العصر الجاهلي إذ يقول: وممّا يتصل بذلك أيضًا أنّ دغفلاً النّسابة: وهو جاهليٌّ أدْرك الإسلام، كان يكتب الأنساب، ويدّونها في الصّحف،5 ويشيرُ الكاتب إلى أنّ النّابغة الذبيانيّ، وشعراء آخرون، كانوا يكتبون قصائدهم

1- نفسه، ج1،ص 165.
2- العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، ج 2، ص 202.
3- نفسه، ج1،ص 482.
4 – المبرد، أبو العباس، الكامل ،ج1،ص 266.
5- أسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية ، ص 160.

ويرسلونها إلى بلاط المناذرة[1].. ويذكر المؤلّف من الأدلّة والشّواهد؛ ما يثبت هذه الفرضية... [2]، ويرجّح الدّكتور شوقي ضيف؛ أنّ الرواية الجاهليّة كانت شفاهيّةً بقوله:

ومن يرجِع إلى شعرهم، يجدُ شعراءهم يذكرون دائماً الرّواية، وأنّها وسيلة انتشاره في القبائل، فهي الوسيلة التي كانوا يعرفونها، وقد نَفذَ شعرهم من خلالها إلى آفاق الجزيرة[3]، ويستدلّ على ذلك بقول المُسيّب:

يقول المسيّب بن عَلَس[4]:

فلأهدينّ مع الرياح قصيدةً مني مغلغةً إلى القْعقاعِ.

تَرِدُ المياهَ فما تزال غريبةً في القوم بين تمثّلٍ وسماعِ[5].

فقصيدته تنتشر في القبائل، ويردّدها النّاس، مستمعين إليها، ومتمثّلين بأبياتها[6]، ويذكر المؤلّف أدلةً وشواهد أخرى[7]...

ويقول أيضاً: فرواية الشّعر في العصر الجاهليّ، كانت هي الأداة الطيّعة؛ لنشره وذيوعه، وكانت هناك طبقةٌ؛ تحترفها احترافاً، هي طبقة الشّعراء أنفسِهم، فقد كان منْ يريد نظْم الشّعر وصوغَه، يلزَمُ شاعراً يروي عنه شعرَه، وما يزال يروي له ولغيره؛ حتّى ينفتق لسانه، ويسيلَ عليه ينبوعُ الشّعر والفنّ[8].

إذاً فالرّواية، ويخصّها الدكتور ضيف بالشّفاهية؛ شائعةٌ ومنتشرةٌ في العصر الجاهليّ، وقد سَبق أنْ نقلنا رأي الدكتور أسد في أنّه؛ حتى الرواية الكتابية (التّدوين) كانت حاضرةً، وهو ما ذهب إلى نفيه الدكتور شوقي ضيف في كتابه، وسبقت الإشارة إلى موضعه.

1- نفسه، ص 161.

2- انظر نفسه، ص 161،162.

3- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 11،ص142.

4- المسيب بن علس بن مالك بن عمرو ابن قمامة، من ربيعة بن نزار، شاعرٌ جاهليٌّ، كان أحد المقلّين المفضَّلين في الجاهلية، وهو خال الأعشى ميمون، وكان الأعشى راويته، وقيل: اسمه زهير، وكنيته أبو فضة، له ديوان شعر، شرحه الآمدي، انظر: الأعلام، الزركلي، ج 7، ص225.

5- الضبي، المفضل بن يعلى، المفضليات، أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 6،ص62.

6- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ،ص 142 .

7- انظر نفسه، ص 142.

8- نفسه، ص 142.

الرّواية في صدرِ الإسلام: أما في العصر الإسلاميّ، وفي صدر الإسلام على وجه الخصوص، فليس هناك ما يثبت انشغال الصحابة والمسلمين؛ عن رواية ما توارثوه من الشّعر والنّثر[1]، بل إنّ الأدلّة والرّوايات، تثبتُ عكس ذلك، وهو ما يقرّره الدكتور شوقي ضيف في كتابه:

وجاءَ الإسلام؛ فانكبّوا على تلاوة القرآن الكريم، ولكنْ لم ينسوا شعرهم أبداً، حتّى منذ بدء الدّعوة الإسلاميّة، فقد كان الرّسول عليه السّلام يستحثّ حسّان بن ثابت؛ وغيره من شعراء الأنصار، على هجاء قريشٍ، والردّ على شعرائها، وكان كثيراً ما يسْتنشدُ الصّحابة الشّعر، حتى شعْر أعدائه، من مثل أميّة بن أبي الصّلت[2].

رواية العصرُ الأمويّ:

أمّا العصر الأمويّ: فيشكّل رواته حلقة وصلٍ؛ بين العصر الجاهليّ والعصر العباسيّ، أو القرن الثّاني الهجريّ[3]، فمن هؤلاء الرواة: الطّرِمّاحُ، والكُميت بن زيد، ورُؤبة بن الحجاج[4]، إلى أنْ نصل إلى جريرٍ والفرزدق، فقد كان خلفاء بني أميّة يسألون جريراً عن الشّعراء؛ الجاهليّين منهم، والإسلاميّين، فيخبرهم بشعرهم، وبنقده، وأحكامه، على هؤلاء الشعراء[5].

أمّا الفرزدق فقد: كان كثير الرّواية لشعر امرئ القيس، حافظاً لأخباره، ويعللّ العلماء كثرة روايته لشعر امرئ القيس وأخباره، بأنّ امرأ القيس صحبَ عمّه، شُرحبيل بن الحارثِ؛ قبل يوم الكلاب، وكان شُرحبيلُ؛ مسترضعًا في بني دارم، رهط الفرزدق، فَلحِق امرؤُ القيس بعمّه، فلذلك حفظ الفرزدقُ أخبارَه[6].

ومازلنا نتحدث عن العصر الأموي؛ فثمّت عاملٌ آخرُ حفِظَ الرواية الأدبيّة الجاهليّة، وسَاهمَ بدورٍ رئيسٍ في استمراريتها؛ ألا وهو الظرف السياسيّ، وفي هذه الحيثيّة يقول الدكتور ضيف: كانت الدولة الأمويّة عربيّة النّزعة، فعَمِلتْ على حفْظِ هذا التراثِ؛ بما كانت تروي منه[7].

1- انظر أسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية ، ص 195.

2- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ص 144.

3- انظر أسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية ، ص 225.

4- انظر نفسه، ص 225.

5- انظر نفسه، ص227.

6- الدينوري، بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ج 1، ص 123.

7- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ص145.

الرّواية، والرّواة في القرن الثّاني الهجريّ: وعند تتبع سيرورة الرواية، نصلُ إلى القرن الثّاني الهجري، لنجد تسميتان لرواة هذا العصر، فالدكتور أسد يسمّيهم (الرواة العلماء) [1]، والدكتور ضيف يلقّبهم بـ (الرواة المحترفين)[2].

ومن أبرز هؤلاء الرواة: أبو عمرو بن العلاء، وحمّاد الراوية، وخلف الأحمر، ومحمّد بن السائب الكلبيّ، والمفضّل الضبـيّ[3].

أمّا احترافيّتُهم أو علمائيّتهم، فتكمن في أنّهم اتّخذوا "رواية الشّعر الجاهليّ عَملاً أساسيًّا لهم، وتختلط في هذه الطبقة أسماءُ عربٍ، وموالٍ، وأسماءُ قراءٍ للقرآن الكريم، وغير قراءٍ، وهم جميعاً حضريّون، عاشوا غالبًا في البصرة، والكوفة، ولم يكونوا يقفون عند رواية الشعر القديم مجردةً، بل كانوا يضيفون إليها كثيراً من الأخبار عن الجاهليّة وأيّامها، وكانوا يتّخذون لأنفسهم حلقاتٍ في المسجد الجامع، يحاضرون في الطّلاب، وفي أثناء ذلك يشرحون لهم بعض الألفاظ الغريبة، أو يفسّرون لهم ظروف النّصّ التاريخيّة"[4]، وعنْ بصْريّتهم أو كوفيتهم، أو انقسامهم إلى مدارس أخرى، يبين الدكتور أسد فيقول[5]: وقد انقسم هؤلاء الرواةُ العلماء إلى مدارس؛ فكانت ثمّت مدرسةُ البصرة، ومدرسةُ الكوفة، ومدرسةُ المدينة، ومدرسةُ بغداد، وكان تلاميذ كلّ مدرسةٍ وعلماؤها، يتعصبّون لمدرّسيهم، ولشيوخهم، ويوثّقون روايتهم، ويحجّون شيوخ المدرسة الأخرى، ويضعّفون روايتهم، ويتهمونهم بالوضع، والنّحل، والكذب.

نهج المبرّد في مرويّاته، والخاتمة:

ويوصلنا الحديث عن المدارس وأعلامها، إلى أديبنا أبي العباس المبرّد، حيث يعتبر أحد أعلام المدرسة البصريّة اللغويّة، الذي سبق وأن عرضنا نماذج من رواياته، فيما يخصّ الأدب الجاهليّ، أمّا حديثي في هذه الفقرة فهو عن خصائص رواية المبرد عامّةً في كتابه الكامل، حيث نجد لرواية الشّعر في ضوء ما كان شائعاً في عصر المبرد منهجين: الأوّل هو الرواية من خلال التّنبيه على الإسناد، والإشارة إلى زيادة بيتٍ أو أكثر، أو الاختلاف بين روايتين، وترجيح واحدةٍ على أخرى، والثاني: هو

1- انظر أسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية ، ص252.
2- انظر ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ص148.
3- نفسه، ص148.
4- انظر نفسه، ص 148.
5- أسد ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية ،ص252.

شرحُ البيت وتفسير غريبه، وتوضيح معناه، والإشارة إلى ما في طيّاته من أخبارٍ تاريخيّةٍ، والتّنبيه على الجوانب البلاغيّة والنقديّة[1].

هذا الاختلاف في المرويّات بين رواياتٍ مسندةٍ، وأخرى خاليةً عنها، نجد تفسيره عند ناصر الدّين أسد إذْ يقول: أنّ الإسناد في الرواية الأدبية، لم يصبح قاعدةً ملتزمةً، إلّا في القرنين الثّالث والرّابع، حيث يرتفع الإسناد إلى رجال الطّبقة الأولى من علماء القرن الثاني[2].

وعن المبرّد يحدّثنا بقوله: لو رجعنا إلى كتب المبرّد، أو إلى بعض من نَقَل عن المبرّد، لوجدنا أنّ هذه الصّفة واضحةً فيه، وإنْ لم تكن عامّةً، ولا غالبةً، ففي كتبه إسنادٌ متصلٌ حيناً، ومنقطع حيناً آخر، وفيها حذفٌ للإسناد، ونصٌّ على هذا الحذف[3]، هذا أحد الأسباب لحذف الإسناد، ومن الأسباب الأخرى التي استفاض في شرحها الكاتب هي: التزام الإسناد في الحديث، وعدم التزامه في الأدب لأسبابٍ دينيّةٍ، وموضوعيّةٍ[4].

أمّا مسألة الرّواية عن الأعراب: وهي مرويات كثيرةٌ في كتاب المبرّد، فنجدُ في كتاب الدكتور ناصر الدين، تعليلاً لهذه الظاهرة حيث يقول: وما يروي هؤلاء العلماء عن شيخٍ عالمٍ، وراويةٍ، كثيراً ما يكون من الأعراب؛ الذين كانوا يأخذون منهم اللّغة، والشّعر، والأخبار، وقد يمتدّ بهم الإسناد، فيرفعونه في أحوالٍ نادرةٍ إلى جاهليٍّ، شَهدَ ما يروون عنه[5]، ثمّ يستنتج قائلاً: ومن اليسير أنْ يتتبع الباحث شيوخ هؤلاء العلماء الرواة، ويعرف بعضهم بأسمائهم، غير أنّ من العسير؛ أنْ يُرجع إلّا في القليل النّادر مفردات هذه الروايات التي يروونها، سواءً أكانت شعراً أم نثراً، إلى الشّيوخ الذين أخذها عنهم هؤلاء العلماء الرّواة، ومن هؤلاء الشيوخ : الأعراب الفصحاء، الذين كانوا يفدون إلى الحواضر؛ فيأخذ عنهم هؤلاء العلماء اللّغة، والشّعر، والأخبار[6].

1- فاهم، شيماء خيري، منهج المبرد في رواية الشعر وشرحه في كتاب الكامل، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها العدد:19،2011،ص2.

2- أسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية ،ص277.

3- نفسه، ص 278.

4- انظر، نفسه، ص 257 ،258.

5- نفسه، ص 268 .

6- نفسه، ص 270 ،271.

وقد تَتَبعتْ بعض المصادر هؤلاء الأعراب وسمّتهم[1]، ومن هؤلاء، الأعرابُ الذين نَقَل عنهم المبرد وغيرُه من الرّواة، وفي النّتيجة: فالإسناد في الشّعر، والرّواية الأدبيّة كان موجوداً[2]، وأنّ العلماء الرّواة من رجال الطّبقة الأولى، أخذوا الشّعر الجاهليّ بالرّواية عمّن قبلهم، وإنْ كان تلامذتهم من بعدهم، قد أغفلوا النصّ على الإسناد قبل هذه الطّبقة الأولى[3].

وأجد أنّه بهذه الخاتمة قد وصلت الورقة إلى منتهاها، والبحث إلى غايته، لأخلص إلى:

النتائج التالية:

- إنّ كتاب الكامل للمبرّد، روى فيه صاحبه من أشعار العصر الجاهليّ، ونثْره الشّيء الكثير.
- لم تكنْ هذه الروايات مبوّبةً، ومرتّبةً، وإنّما أتت مبعثرةً؛ على طريقة التّأليف في ذلك العصر.
- لم يكنْ الكامل كتابًا لرواية نوع من الشّعر والنّثر فحسب، بل هو كتابٌ جامعٌ في اللّغة عموماً، ففيه الإعراب، والبلاغة، والشّرح والتّفسير، والراوية، بمختلف مراحلها وعصورها، إلى عصر المبرّد نفسه.
- كانت الرّواية بإسنادٍ ومن غيره، ولهذا أسبابه المنهجيّة، والموضوعيّة، والتاريخيّة، التي بيّنتها في البحث.
- أبو العباس المبردّ؛ ليس من أعلام الرّواة، لكنّه من علماء ومحترفي الراوية، على نحو ما شرحتُه من دلالةٍ أدبيّة، وتاريخيّةٍ، ونقديّةٍ، لكلا اللقبين.

المراجع:

1- امْرُؤُ القَيْس، ديوان امرِئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت،1425 هـ 2004 م، ط 2.
2- الأعلام للزركلي، ج 7.
3- أسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية، دار الجيل بيروت، 1988، ط7.
4- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 1.

1- انظر أسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية الحاشية، ص 271.
2- انظر نفسه، ص275.
3- نفسه، ص 275.

5- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، 142هـ -1992م، ط1.
6- ثعلب، أبو العبّاس، شرح شعر زهير بن أبي سلمى،تح: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، 1428هـ -2008م، ط 3.
7- الدينوري، بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ج1.
8- الضّبيّ، المفضّل بن يعلى، المفضليات، أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 6.
9- العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت.
10- القرط على الكامل، الأنصاري، علي بن إبراهيم، المكتبة الشاملة.
11- المبرد، أبو العباس، الكامل، ت:محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997-1418، ط3.
12- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 11.
13- فاهم، شيماء خيري، منهج المبرد في رواية الشعر وشرحه في كتاب الكامل، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها العدد:19،2011.